95 - السيدة لُبابة الصُغرى

أم سيف الله المسلول

اسمها لُبابة الصُغرى تمييزاً لها عن لُبابة الكُبرى أختها أم الفضل زوج العباس بن عبد المطَّلب، أما زوج لُبابة الصُغرى فهو الوليد بن المغيرة، وابنها فارس الإسلام سيف الله خالد بن الوليد، ولقبها العصماء.

كان خالد من أشراف قريش في الجاهلية، وقد منح قريش يوم أُحُدٍ نصراً نجم عن ملاحظته ترك رماة المسلمين مواقعهم التي أمرهم رسول الله ﷺ ألَّا يبرحوها، فانقضَّ عليهم خالدٌ من خلفهم وأعمل فيهم القتل حتى تحوَّل النصر عن المسلمين إلى أعداء الله والدين.

وأخذت هند بنت عتبة ونساء المشركين اللواتي خرجن معها يمثِّلن بجثث شهداء المسلمين، وأقدمت هند على بقر بطن حمزة وقطعت أنفه وأُذنيه، وفعلت فعلها الأُخريات، وكانت هزيمة رهيبة لمن عصوا أوامر رسولهم ﷺ، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وقبل فتح مكة كان ثلاثةٌ من أشداء قريش يقصدون المدينة ليبايعوا رسول الله ﷺ ويسلموا، ولما رأى رسول الله ﷺ خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن أبي طلحة قادمين إليه قال لأصحابه: «**رَمَتْكُمْ مَكَّةُ بِأَفْلاذِ أَكْبادِهَا**» وأسلم الثلاثة.

ولما دخلوا على رسول الله ﷺ سلَّم عليه خالد بن الوليد بالنبوة، ثم قال: إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**الحَمْدُ لله الَّذي هَدَاكَ، قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ عَقْلاً وَرَجَوْتُ أَلاَّ يُسْلِمْكَ إِلا لِخَيرٍ**» فقال خالد: يا رسول الله، قد رأيت ما كنت أشهد من تلك المواطن عليك

معانداً عن الحق، فادعُ الله أن يغفرها لي، فأجابه النبي ﷺ: «**إِنَّ الإِسْلامَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ**» فقال خالد: يا رسول الله وعلى ذلك، فقال النبي ﷺ: «**اللهمَّ اغْفِرْ لِخَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ كُلَّ ما أَوْضَعَ فِيهِ مِنْ صَدٍّ عَن سَبِيلِكَ**» وكان لخالد بهذه الدعوة الكريمة رضًى وراحة.

وشهد خالد مع رسول الله ﷺ فتح مكة العظيم، ثم أمره رسول الله ﷺ بالتوجُّه إلى العزَّى لكي يهدمها، ولم يعد خالد يتخلَّف عن مشهدٍ أو غزوةٍ، ولما جُرح يوم حنين عاده رسول الله ﷺ، فنفث في جرحه فشفي.

وفي خلافة أبي بكر الصِّدِّيق بعثه لقتال المرتدِّين، حيث تمكَّن جيشه من دحر جيش مسيلمة الكذَّاب، وقضي على مسيلمة في معركة اليمامة.

وكانت أهم انتصارات خالد في معركة اليرموك مع الروم لفتح بلاد الشام، ولما حضرت خالداً الوفاة، قال: لقد شهدت مئة زحفٍ أو زهاءها، وما في بدني موضع شبرٍ إلاَّ وفيه ضربة أو طعنة أو رمية، وها أنذا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء، وما من عملٍ لي أرجى عندي من «لا إله إلا الله» وأنا متترسٌ بها.

يوم موت ولدها البطل

ولما أراد أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب الحج، خرج خالد معه، وفي الطريق نزل به المرض، فقال: خذوني إلى مُهَاجَري، فعادت به أمه العصماء إلى المدينة، ولما عاد عمر من حجِّه توجَّه إلى بيت خالد فوجده قد فارق الحياة، فاسترجع، وقيل له: ألا تنهى النساء عن البكاء عليه؟ قال عمر: وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان، ما لم يكن نَقْعٌ[1] أو لقلقة[2].

(1) النَّقع: وضع التراب على الرؤوس حزناً.
(2) اللقلقة: رفع الصوت بالبكاء.

وكان عمر في مكة يوماً فسمع امرأة مُحرمةً تبكيه وتقول:

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفِ مِنَ القَوْ مِ إذَا مَا كُنْتَ فِي وُجُوهِ الرِّجَالِ

فقال عمر: صدقتِ والله!! إن كان لكذلك، ثم قالت:

أشُجَاعٌ؟ فَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ لَيْـ ـثِ مُرَّةَ بْنِ جِهْمٍ أَبي الأَشْبَالِ
أَجَوادٌ؟ فأَنْتَ أَجَوَدُ مِن سَيْـ ـلِ أَتَى يَسْتَقِلُّ بَيْنَ الجِبَالِ

فقال عمر: من هذه؟ فقيل: أمه، فقال عمر ﷺ: أمه والإله!! أمه والإله!! وهل قامت النساء عن مثل خالد؟!!

وقضى فارس الفرسان، ومجندل الشجعان فكيف لا تتقرَّح الأجفان على من ضنَّ بمثله الزمان؟!!.

رحم الله خالداً، وأم خالد، وجزاهما أوفى الجزاء.